## المحور الثالث:

## التحولات الاقتصادية والتكنولوجية ومجتمع المخاطر.

## المحاضرة الثامنة- الجانب السلبي للحداثة: المخاطر.

لفهم الجانب السلبي للحداثة للمجتمعات المعاصرة باعتبارها مجتمعات المخاطر، بداية يمكن الاشارة الى مدخل لقراءة وفهم الحداثة البسيطة وأسسها حسب تعبير أولريش بيك والتي كانت تتمظهر في عقلنة الحياة الاجتماعية، كما يلي:

### 1- نحو فهم للحداثة وأسسها:

تعتبر الحداثة مرحلة لمسيرة الفكر الغربي، والتي تمتد منذ عصر النهضة إلى نهاية الستينات تقريبا، ولتشهد في المرحلة اللاحقة مراجعة شاملة من طرف المفكرين والفلاسفة لفكر الحداثة، الذي فسح الطريق لبعض الأفكار الجديدة، وسمح لها أن تطفو على سطح الواقع الثقافي، فمع نهاية البنيوية على وجه الخصوص، وظهور التفكيكية على انقاذها أصبح فكر الحداثة مثار نقد عنيف طال الأسس التي قام عليها بالأساس، فاسحا المجال لأفكار جديدة جسدها ما بعد الحداثة.

حيث بدأت النقاشات والسجالات، الفكرية بين المفكرين في الغرب، نتيجة للتطورات التقنية و التكنولوجية وحتى المعرفية، هذه التطورات المذهلة التي غيرت من بنية المجتمع الغربي وملامحه، حتى أصبح يوصف بأوصاف جديدة: المجتمع ما بعد الصناعي، مجتمع الخدمات، المجتمع الإستهلاكي، مجتمع الشبكات ... إلخ، في نفس الوقت الذي طال فيه هذا النقاش الفكري الحداثة، التي بشرت منذ قرون بميلاد مجتمع جديد عقلاني ولصالح الإنسان وحريته، ولكن هذه الأهداف التي رسمتها الحداثة لنفسها لم تتحقق رغم التطور التكنولوجي المذهل، والذي أوصل الإنسان إلى القمر، ورغم التطور الكبير الذي عرفه المستوى الاقتصادي الذي عرفه العمال على وجه الخصوص، وقد شارك في هذا السجال الفكري- والذي دار خصوصا بين أنصار الحداثة ونقادها، حول صلاحية المشروع التنويري، وحول نهاية الإنسان أو حول مصداقية المثقف وجدوى المشاريع الايديولوجية، أو حول العقل والصدق والحقيقة ...، - علماء بارزون من أمثال ريمون آرونRaymond Aaron وجان بول سارترJean-Paul Sartre، وميشال

فوكوMichel Foucault، و درورنيDrornyمن جهة، وهابرماسHabermasوتيري ابغلتون Terry Abgleton، وكريستوفرنوريسChristophernorisمن جهة أخرى، الليبرالية الجديدة والنظام العالمي أو حول الطريق الثالث ونماذج التنمية والعولمة، كما ينخرط فيها مثقفون كتشومسكيKuchomsky، وبيار بورديوPierre Bourdieu، وسمير أمين، وبنيامين باربرBenjamin Barber، و جون سيرل John Searle، وصادق جلال العظم، ومحمد عابد الجابري، من جهة أولى والفين توفلر، وفرانسيس فوكوياما، وأنطوني جيدنر، وتوماس فريدمان وراي كورزويل من جهة أخرى" .

وقد انبثقت عدة مبادئ، هي بمثابة الأسس التي تقوم عليها الحداثة، والملامح التي ترسم صورتها النهائية، من حيث هي فكر وتوجه إيديولوجي تنويري، لتأتي حركية ما بعد الحداثة وتدمر هذه القواعد التي كانت تتأسس عليها الحداثة وهي:

– **النقد:** ويقوم على فرضيتين: الأولى: حتمية النقد، بمعنى أن طريق المعرفة اليقينية لا يمكن أن يتحصل عليها الإنسان إلا من خلال إعمال النقد، وهذه الفرضية منبثقة من فكرة الشك المنهجي التي أعلنها ديكارت الملقب بـ أبي الحداثة. الثانية: شمول النقد، وهي تعني: أن كل شيء يقبل النقد ولو كان مقدسا، وذلك أن النقد في حد ذاته قيمة بغض النظر عن الغاية وطبيعة الموضوع، فحينها لا يكون للدين ولا للقيم والأخلاق حصانة من تسليط معاول النقد. وقد كانت النتيجة الحتمية لهذه الحتمية: الوقوع في قبضة الصيرورة النقدية الكاسحة والمدمرة، والتي لا تقف عند حد معين ولا تراعي المسلمات اليقينية، والعلوم الأولية الفطرية حتى انتهى بها الأمر إلى ما يعيشه الآن الفكر الأوربي من تشرذم وتشظي، ومن ثم العدمية والفوضى واللاشيء، مما ينبئ بانهيار الحضارة الغربية.

– **التقدم:** وهو روح الحداثة ولبُها، ويشكل مفتاحا رئيسيا لحركة الحداثة، فبعد أن أصبح الإنسان سيد الكون، فلن يكون أمام خياراته حواجز، أو تقف أمام طموحاته عقبات، فخط التقدم لابد أن يسير قدما إلى الأمام بلا توقف، مادام أن رغبات الإنسان لا تتوقف وهذا المبدأ يقوم على فرضيتين. الأولى: أن التقدم قانون طبيعي، ولذا فهو حتمي، ليس للإنسان فيه إرادة، والمقصود بالتقدم هنا، التقدم الخطي للتاريخ، الذي يفترض أن الزمن الحالي أفضل من الزمن الماضي، وأن الزمن القادم بالضرورة أفضل من الزمن الحالي. وهذه الجبرية التقدمية هي في الأصل منبثقة من النظرية التطورية الداروينية، القائمة على فكرة التطور والارتقاء المستمر من خلال انتخاب الأنواع، وعليها يكون القديم ليس صالحا بالضرورة أيا كان ذلك الحديث،

ولهذا كان التقدم المبدع في مفهوم الحداثة الغربية هو التقدم المنفصل عن كل الأفكار الموروثة مطلقا. الثانية: أن التقدم مقصود لذاته، فيكون غاية ومطلبا بغض النظر عن أهدافه ونتائجه، وتظهر هنا التبعية الفكرية في الخطاب الثقافي عند استخدام لكلمة التقدم، فشعار: " هيا لنلحق بركب التقدم والمدنية"، الذي أصم به دعاة التغريب آذننا خلال العقود الماضية، كان في واقع الأمر يقوم على أساس أن التقدم مقصود لذاته دون اعتبار الهدف والغاية.

– **العقلانية:** أي الثقة في قدرة العقل في تحقيق التطور والتقدم والتمييز بين ما ينفع الفرد والمجتمع، هو سلاح الإنسان في هذه الحياة لتحقيق سعادته ومستقبله الزاهر.

– **الفردية:** حيث أصبح الفرد هو محور كل برنامج أو مشروع يتبناه المجتمع/ والفردية تعني حرية الفرد في الحياة والاختبار، إذ يقال دوما أن المشروع الغربي قام على معادلة ثلاثية وهي الفرد – الحرية–الدولة، فالفرد هنا نظر إليه على أساس أنه منطلق كل عمل تنموي أو تحديثي.

– الإيمان بفكرة التقدم الإنساني وأن البشرية تسير وتتقدم وفق خط تصاعدي.

– حتمية التاريخ وأنه يسير في خط مستقيم ولا يتراجع إلى الوراء.

– الإيمان بالعلم الطبيعي.

– التمييز المطلق بين الذات والموضوع".

## 2–سلبيات الحداثة وظهور المخاطر.

في بدايات الثمانينات والتسعينات انتقلت المخاطر كمحتوى اجتماعي ضمن التوزيع الاجتماعي للمخاطر من القرن الماضي كظواهر فظيعة مثل الحوادث التكنولوجية الكبرى التلوث الضخم ثقب الامازون تغير المناخ وتكاثر الاوبئة والتي لا يمكن التنبؤ بها كمرض الايدز او مرض جنون البقر او صعود الاصولية الى مخاطر فردية تهدد الحياة الفردية فردانية المخاطر في جميع مجالات حياته الصحية، البيئية، الثقافية، حتى في اختيار الفرد نمط حياته يحاول للحد أو التقليل من هذه المخاطر فقد تسارعت التغيرات العلمية و التكنولوجية كنتيجة للمعلومة في جانب منها إن تأثير هذا التغير على حياتنا قد أصبح مباشرا وعميق الجذور .

يرى أولريش بيك أن الجانب السلبي للحداثة هو مواجهة المجتمع الصناعي مع نفسه من خلال نموذج المخاطر، فالجانب السلبي هو نوع من الصراع يسهم في هيكلة النقد المعاصر للحادثة ويحدد معالم حادثة أخرى ويعرفها في تحليلاته السوسيولوجية بأنها توزيع ذاتي ومشكلة ذاتية للمجتمع الصناعي في حد ذاته إن مصطلح المخاطر هو محاولة لجعل التأثيرات غير المتوقعة لقرارتنا الاجتماعية متوقعة ومراقبة غير المراقب، وبتعبير أنتوني غدنز هو استهداف إلى استعمار المستقبل، ويرى في تحليلاته أن الطغيان الجماعي القائم على السيطرة الكاملة على المجتمع يأتي عبر التدمير البيئي للتقدم الصناعي. نريد أن نقول إن المخاطر هي عواقب سلبية لقراراتنا والتي تبدو محسوبة من خلال احتمال المرض أو الحادث، وبالنتيجة المخاطر ليست لا أخطار ولا كوارث طبيعية .

هي وليدة المجتمع الصناعي الذي شهد تحولات عميقة اقتصادية، اجتماعية، ثقافية، سياسية، وبيئة أدت الى زعزعة البنية الاجتماعية وتفكيك الروابط والعلاقات، ولذلك فإن تحليل ودراسة سوسويولوجيا المخاطر قد يحل محل سوسويولوجيا الصراع الاجتماعي، والتساؤل عن الظواهر الاجتماعية المنتجة التي تتسبب فيها أنشطة المخاطر وتطورها، هي عبارة عن مخاوف كبرى للأفراد وجماعات معا، وتصبح نوع من رهاب المخاطر، إن استعمال مصطلح مجتمع المخاطر يستدعي وجود تحول للنظام والحقبة ضمن ثلاثة مجالات مرجعية هي:

- سلوك المجتمع الصناعي الحديث ازاء الموارد الطبيعية والثقافية، يتم القضاء عليها واستنفاذها اثناء مرحلة التحديث، ويمس اشكال الحياة الثقافية كالعائلة الصغيرة أدوار الجنس عمل المرأة داخل البيت.
- موقف المجتمع الصناعي من المشاكل والاخطار التي أنشأها، بحيث تعمل على زعزعة الافكار الأساسية للنظام الاجتماعي عبر القرارات السياسية والافعال.
- الافكار الجماعات والنوعية لبعض الجماعات مثل وعي الطبقة لثقافة المجتمع الصناعي، تستنفذ وتحلل وينتج عنها نوع من خيبة أمل.

حيث نجد في الحداثة المتقدمة الانتاج الاجتماعي للثروات مرتبط بالإنتاج الاجتماعي للمخاطر وبالنتيجة فالمشاكل التوزيع الخاصة بمجتمع العوز والصراعات المرتبطة به حيث تتغطى من خلال هذه المشاكل والصراعات المتولدة عبر الانتاج إن تعريف وتوزيع المخاطر يحدث من خلال العلم والتقنية إن مفهوم الحداثة ينعكس على تحول المجتمع الصناعي الى مجتمع المخاطرة وهذا التحول ينتج ويسرع في ديناميكية المجتمع العالمي للمخاطر ولم تعد تناضل ضد أشكال الحياة التقليدية بل ضد عواقب الحداثة المتطرفة

وضد الاخطار غير المرئية التي يمكن أن تضرب الجميع والتي لا أحد مؤمن عليه. يشير بيك الى عالمية التهديد والمخاطر من الفرد الى الجماعة وسماها بالمجتمع للمخاطر.

إذ ينطوي هذا الخطر الجديد على القوة المدمرة للحرب ويضرب الاغنياء والاقوياء وله تداعيات في كل المجلات وحتى لأسواق تنهار أصبحنا أعضاء في المجتمع العالمي للأخطار، وهذه الأخطار لم تعد قضية داخلية للبلد الواحد وهي بداية لسياسة داخلية عالمية من المفارقة أن العلم قوض دور الأخصائيين ... إن تقدم العلوم لا يقلل بالضرورة من المخاطر بل يشدد على الوعي بها الخوف يهيمن على حياتنا، قيمة الأمن يلغي قيمة المساواة، وتصلب القوانين أمر ممكن ، بل أنه من الممكن أن تبدو "الشمولية الأمنية "معقولة تحت تأثير الخوف، اقتصاد الخوف... المواطن مجتبه به وحذر في نفس الوقت ، ويجب تصويره واستجوابه "من أجل سلامته الخاصة، ويجب أن يكون ممتننا. ومثل المياه والكهرباء، سيكون الأمن سلعة استهلاكية تعزى الى المؤسسة العامة، لذلك أصبحت المجتمعات الحديثة مصانع للمخاطر وهي تصنع مخاطرها بنفسها وليس من الخارج فالعقلانية الآداتية هي خاصية المجتمعات المعاصرة تستند على حساب المخاطر .

فعلا إن ظهور المخاطر في المجتمعات يحمل تهديدات ومخاطر معولمة تتجاوز حدود الدول والقارات وتلقي بالعديد من صور الشك وعدم اليقين والشعور بانعدام الأمن، وهي تهديدات خاصة بالأخطار الاقتصادية والاجتماعية، نتيجة انعكاس الازمات الاقتصادية المحلية على بقة دول العالم وتنتج أثار اجتماعية وجيوسياسية بعيدة المدى، وفقدان للدخل واضطرابات مجالات العمل والتوظيف، وانتكاس الجهود الرامية إلى الحد من الفقر وغياب العدالة وانعام المساواة، ومع ارتفاع أسعار السلع خاصة الغذاء ومع تهديد مفهوم السيادة الوطنية والخصوصية الثقافية، وارتباط نزايد الاتجاه نحو التحرر الاقتصادي والمالي محليا في إطار برامج الاصلاح الاقتصادي، من خلال الالتزامات الدولية ضمن منظمة التجارة العالمية وتحرير التجارة المصرفية، وكإجراء مطرد فتحت الابواب لغسيل الاموال وللجرائم الاقتصادية والالكترونية المتنوعة.

كما نجد أيضا تهديدات خاصة بالأخطار السياسية من خلال القرارات بخلق عالم بلا حدود يعني أبعاد أو تقليص دور الدولة في تحريك السياسات العالمية، وإشراك المؤسسات العابرة للحدود في الشأن السياسي العالمي من أجل خلق المزيد من الاندماج والترابط والالتزام العالمي، هذا الوضع المتفائل والبناء وفق رؤية عالم واحد مصير واحد هو أساس أسباب النزاعات والصراعات الدولية وظهور التنظيمات العالمية خاصة الارهابية او الجماعات الأيديولوجية.

كما نجد أيضا تهديدات خاصة بالأخطار الثقافية،وذلك لأن الثقافة في جوهرها تعبير عن نشاط إنساني والاعلام هو أداة للتفسير والتطوير والنشر، فوسائل الاتصال الحديثة هي الاداة الناقلة للثقافة إذ تدعم المواقف الثقافية وتأثيراتها. فنحن ضمن سياق الحداثة أنتجنا مفاهيم عالمية ثقافية وتم تسويقها على نطاق عالمي، وإلى الشراكة العالمية في القيم والمعايير والقناعات والسلوكيات، هذا لخلق مسار ثقافي يحدث تحولا في عملية فهم وتحليل المخاطر الاجتماعية والاقتصادية ضمن مسارها الثقافي، فالفقر، الجريمة ،المخدرات ،الانجاب غير الشرعي ، وتجارة البشر ، كلها ظواهر عابرة للحدود في مداها وتأثيراتها ، وهذا بفضل تسويق مفاهيم موحدة تخضع لها كل المجتمعات دون الأخذ بعين الاعتبار الفرق بين ما هو محلى وفردي ، فالثقافة عالميا تسوق الآن وهذا ما عبرت عنه شركة semiotic solutions" إننا الآن نبيع الثقافة " ، وهذا ما جعلنا بالفعل نعيش مرحلة ثقافية جديدة أنتجتها الحداثة ضمن صناعة عالمية متطورة ودعمتها التطورات التكنولوجية عالية الدقة.

كما نجد أيضا تهديدات خاصة بالأخطار البيئة والصحة، حيث تتجلى المخاطر المصنعة بأوضح صورها، في المخاطر التي تطرحها البيئة الطبيعية مع تزايد الاحتباس الحراري وآثاره على الغلاف الجوي للأرض، بفضل احتباس الغازات الضارة داخل الغلاف الجوي والتي تؤدي الى تأكل طبقة الأوزون وما تحدثه من تأثيرات على صحة الانسان، وزيادة معدلات التلوث العالمي، وزيادة مستوى مياه البحار والفيضانات، ومختلف الأنشطة التي تعمل على تهديد الأرض بنقص نسبة الأوكسجين، والتأثيرات البيئية الواسعة لتأكل المساحات الخضراء والقضاء على الغابات وظهور التصحر... إلى جانب المخاطر المصنعة المرتبطة بالأغذية وما تتركه من آثار سيئة على صحة الانسان، من خلال زيادة استعمال المواد الكيماوية المبيدة للحشرات وللأعشاب الضارة في الإنتاج الزراعي التجاري وفي مجال تربية الحيوانات التي أصبحت بدورها تحقن بالهرمونات والمضادات الحيوية وظهور أمراض جنون البقر.

وغيرها من المخاطر التي نتجت عن فعل التكنولوجيا، خاصة النووية والكيميائية وكانت بمثابة تهديدات مستمرة وعامة، وتحولت الى كوارث مازالت حاضرة واقعا وفي ذكريات الناس، ككارثة مدينة بوبال الهندية، والتي وقعت في مدينة بوبال الهندية عام1984 نتيجة الانفجار الذي وقع في مصنع كيمائي أطلق على هذه الكارثة هيروشيما الصناعات الكيميائية، لأنها تسببت خلال ساعة واحدة بتسمم نصف مليون إنسان، توفي منهم 4000، في نفس اليوم 8000 خلال أسبوعين عموما بلغ عدد القتلى ألف انسان إضافة إلى ان الاف الاشخاص فقدوا ابصارهم. وكذا كارثة تشرنوبيل التي وقعت الكارثة عام 1986 في محطة

تشرنوبيل الكهرذية بالاتحاد السوفيتي السابق، نتيجة الانفجار الذي وقع في أحد مفاعلات محطة تسربت الى المنطقة المحيطة كميات هائلة من الاشعاعات النووية، أودت الكارثة بحياة أكثر من 100 إنسان وجرى اجلاء حوالي 14 ألف شخص. أما كارثة المنصة النفطية "بايبر ألفا" وقعت هذه الكارثة عام 1988، في منصة بابير ألفا العاملة في بحر الشمال التي كانت تعود لشركة أوكسيدينتالبيتروليوم الأمريكية، نتيجة انفجار الغاز المتسرب. وتعتبر هذه الكارثة أضخم الكوارث التي وقعت في قطاع الصناعات النفطية، حيث احترقت المنصة تماما، واودت بحياة 167 شخصا من مجموع 226 عاملا كانوا يعملون فيها.

كما نجد كارثة انفجار مصنع الكيميائيات في تولوز عام 2001 في مصنع AZF، للصناعات الكيميائية بمدينة تولوز الفرنسية، وتعتبر أكبر الكوارث التي وقعت في قطاع الصناعات الكيميائية، كان سبب الكارثة انفجار 300 طن من مادة نترات الامونيا، بسبب عدم مراعاة قواعد تخزين المواد الخطرة المواد الخطرة. أودى الانفجار بحياة 30 شخصا وإصابة أكثر من 300 آخرين وتدمير وتضرر 1000 منزل سكني بينما 80 مدرسة وجامعتان و185 روضة اطفال، وتوقف النشاط الانتاجي لأكثر من30 مؤسسة صناعية وبقي 40 ألف إنسان من دون سكن. كما نجد أيضا كارثة انفجار غاز الميثان في مناجم الفحم بمقاطعة كيميروفو Kemerovo الروسية، وقعت الكارثة عام 2007 نتيجة انفجار غاز الميثان في منجم "أوليانوفسكايا Ulyanovskaya" وأودى بحياة 110 عامل منجم، تبع الانفجار الاول أربعة انفجارات أخرى، مما أدى إلى حدوث انهيارات كبيرة في الممرات المنجمية. تعتبر هذه الكارثة الأكبر في مناجم الفحم الحجري في روسيا خلال 75 سنة. أما كارثة محطة سيانو شوشينسكايا الهيدروكهربائية Ciano Shushinskayahydroelectric، والتي وقعت الكارثة عام 2009 في محطة توليد الطاقة الكهربائية على نهر ينيسي أثناء عمليات الصيانة التي كانت تجرى على إحدى وحدات توليد الطاقة، أدى الحادث الى تضرر وحدتين هيدروليكيتين، وتهدم الجدار وغرفة التشغيل وتدمير الطوربينين التاسع والعاشر، وتوقف عمل المحطة تماما، وتعتبر هذه الكارثة الأكبر في المحطة الهيدروكهربائية، وأودت بحياة 75 شخصا، كما تضررت الطبيعة في المنطقة.

ومن بين الكوارث أيضا نجد كارثة محطة فوكوشيا الكهرذرية ElectrocardiogramFukuchia والتي وقعت عام 2011، في محطة فوكوشيما الكهرذرية Fukushima electrode اليابانية نتيجة هزة أرضية شديدة بغلت قوتها 9 درجات حسب مقياس ريختر، وتعتبر هذه الكارثة الأقوى بعد كارثة تشرنوبيل 1986، تبع الهزة الأرضية تسونامي أرتفاعه 14 مترا أغرق 4 مفاعلات من مجموع ستة مفاعلات عاملة في المحطة،

ودمر منظومة التبريد المستخدمة وتسبب في حدوث انفجارات هيدروجينية وانصهار بعض المناطق، وأيضا في تسرب الاشعاعات إلى الوسط المحيط، حتى أن المواد المشعة اكتشفت في مياه الشرب والخضروات والشاي واللحوم وغيرها من المواد الغذائية، ويتوقع أن تستمر عمليات إزالة نتائج الكارثة مدة لا تقل عن 40 سنة من تاريخ رفع المفاعلات النووية المتضررة. وغيرها من الكوارث التي خلفتها الحداثة وأنتجت مخاطر مقلقة ومهددة للمجتمع العالمي، حيث تنوعت هذه المخاطر ومس كل مجالات الحياة الاجتماعية ولم يعد إنسان الحداثة يثق في هذه الحداثة فهو يعتقد جازما انه جالس على مخاطر دائمة.